

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم: التاريخ

أد. محمد أوجرتني
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

عنوان المداخلة:

الجزائريون في فرنسا ومساهماتهم في نمو الوعي الوطني، من خلال قراءة في كتاب
"الدور السياسي لهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914/1939". لعبد الحميد زوزو.

الملخص.

لم تكن الهجرة الجزائرية إلى أوروبا ظاهرة اجتماعية سلكها الجزائريون من أجل تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية فحسب بل حملت في طياتها الكثير من مظاهر التحول الفكري والسياسي للطبقة المهاجرة والتي احتضنت مشروع النهضة الوطنية والوعي السياسي الذي مهد الطريق لنشأة الحركة الوطنية الجزائرية وبالأخص نجم شمال إفريقيا الذي يعد أول مولود سياسي برز في فرنسا بفضل طبقة المهاجرين ونسج ملامحه المطلوبة ثلة من المناضلين والزعماء السياسيين الجزائريين الذين تأثروا بحالة الوعي السياسي والفكري الذي كانت تعيشه أوروبا والعالم، والتغيرات والتحولات الجذرية في الأنظمة السياسية والممارسات الديمقراطية التي شهدتها فرنسا على وجه الخصوص ومنها نمو التيار اليساري واستحوذه على السلطة في ثلاثينيات القرن الماضي. وقد استقطب هذا الموضوع كثيرا من الباحثين والمؤرخين فتناولوه من أجل معرفة بدايات الحركة الوطنية الجزائرية

ودور المهاجرين الجزائريين فيها، ومنهم المؤرخ الجزائري الكبير عبد الحميد زوزو من خلال كتابه "الدور السياسي لهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914/1939" والذي اتخذناه كقاعدة لمناقشة موضوع المداخلة في هذه الندوة التي تقف عند ذكرى يوم الهجرة 2025/10/17.

SUMMARY.

This topic has attracted many researchers and historians, who have addressed it in order to understand the beginnings of the Algerian national movement and the role of Algerian immigrants within it. Among them is the great Algerian historian Abdelhamid Zouzou, through his book "The Political Role of Immigration to France Between the Wars 1914/1939", which we have taken as a basis for discussing the subject of the intervention in this symposium, which commemorates the anniversary of Immigration Day, October 17, 2025.

This topic has attracted many researchers and historians, who have addressed it in order to understand the beginnings of the Algerian national movement and the role of Algerian immigrants within it. Among them is the great Algerian historian Abdelhamid Zouzou, through his book "The Political Role of Immigration to France Between the Wars 1914/1939", which we have taken as a basis for discussing the subject of the intervention in this symposium, which commemorates the anniversary of Immigration Day, October 17, 2025.

عناصر المداخلة:

مقدمة:

تجدد نازلة الهجرة سنة 1830.

الوعي واليقظة الوطنية والفكر الوطني والثقافة والمقاومة.

عبد الحميد زوزو الباحث والمؤرخ ومسيرته.

قراءة في كتاب "الدور السياسي لهجرة إلى فرنسا بين الحربين

1914/1939".

الهجرة إلى فرنسا الدوافع والنتائج.

دورها السياسي.

خاتمة.

مقدمة:

الهجرة الجزائرية إلى أوروبا لم تكن ظاهرة اجتماعية سلكها الجزائريون من أجل تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بل حملت في طياتها الكثير من مظاهر التحول الفكري والسياسي للطبقة المهاجرة والتي احتضنت مشروع النهضة الوطنية والوعي السياسي الذي مهد الطريق لنشأة الحركة الوطنية الجزائرية وبالأخص نجم شمال افريقيا الذي يعد أول مولود سياسي برز في فرنسا بفضل طبقة المهاجرين ونسج ملامحه المطلوبة ثلة من المناضلين والزعماء السياسيين الجزائريين الذين تأثروا بحالة الوعي السياسي والفكري الذي كانت تعيشه أوروبا والعالم، والتغيرات والتحولات الجذرية في الأنظمة السياسية والممارسات الديمقراطية التي شهدتها فرنسا على وجه الخصوص ومنها نمو التيار اليساري واستحواذه على السلطة في ثلاثينيات القرن الماضي. وقد استقطب هذا الموضوع كثيرا من الباحثين والمؤرخين فتناولوه من أجل معرفة بدايات الحركة الوطنية الجزائرية ودور المهاجرين الجزائريين فيها، ومنهم المؤرخ الجزائري الكبير عبد الحميد زوزو من خلال كتابه "الدور السياسي لهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914/1939" والذي اتخذناه كقاعدة لمناقشة موضوع المداخلة في هذه الندوة التي تقف عند ذكرى يوم الهجرة 2025/10/17.

تجدد نازلة الهجرة سنة 1830.

عرف المغرب الأوسط والأندلس أواخر القرن 15م نكبات كثيرة ونوازل شديدة أدت إلى تدخل العلماء بالفتوى لتوجيه المسلمين نحو أفضل السبل لتجنب الشدائد والتخفيف منها، ففي تلك الفترة تغلب الاسبان على الاندلس وقتلوا عشرات الالاف من المسلمين، ومن رضح منهم لسلطة الكفار فرضت عليه محاكم التفتيش التخلي عن دينه وعقيدة التوحيد، ولما أحس الناس بالحرع الشديد جاءت فتوى الونشريسي التي دعا فيها المسلمين إلى ضرورة الهجرة من الاندلس بعد ان تغلب عليه النصارى، والمعروفة "أسنى المتاجر في بيان أحكام

من غلب على وطنه النصراني ولم يهاجر¹، ولم يقع ادماج المسلمين على هذه الفتوى واعتبر بعضهم العمل بها دعوة لإفراغ بلاد الإسلام من ساكنيها وتقديمها لقمة سائغة للكفار، وفي هذا خطر كبير على مستقبل الدين. مما جعل الشيخ بوجمعة الوهراني المغراوي يتقدم بفتواه المضادة لفائدة أهل الأندلس سنة 910هـ الموافق 1504م، أي أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وجاءت فتوى الشيخ بوجمعة في وقت عصيب حيث شهدت تلك الفترة تأجج حرب الاسترداد وطرد المسلمين من الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر معقلهم بها. وكان للشيخ حضوراً شعبياً وعلمياً كبيراً ونالت دروسه إقبالاً واسعاً وكان أشقر اللون أحمر العينين جهير الصوت سلس الكلام وذا ذاكرة متقدة وقذرة عجيبة على استحضر الشواهد الدينية واللغوية. وكانت وفاته سنة 1524م.

وجه أبو جمعة المغراوي فتواه لمسلمي مملكة غرناطة وقشتالة، لأنها المنطقتان اللتان صدر فيهما قرار بالتنصير القسري، وأطلق عليهم الإسبان المورسكيون "موريسكوس"، وتعني العرب الأصاغر تقليلاً من شأنهم². وكتبت باللغة العربية وحملت إلى الجزيرة الإيبيرية سنة 1526م.

وللحفاظ على عقائدهم قام المورسكيون بإنشاء لغة الألمخياديا وهي لغة إسبانية مكتوبة بالحروف العربية للتملص من رقابة محاكم التفتيش، وصاروا يكتبون ويدرسون بها القرآن والحديث وتضمنت الفتوى دعوة المسلمين للبقاء في وطنهم الأندلس وعدم مغادرته وان طلب منهم وفرض عليهم ممارسات النصراني فليفعلوها منكرونها³.

¹ - ساعد تبينات، الإمام أحمد شقرون الوهراني وفتواه لأهل الأندلس، في ملتقى "النوازل الفقهية عند علماء الجزائر من نهاية القرن السادس عشر الميلادي 10هـ، إلى بداية القرن العشرين، 14هـ، سلسلة منشورات كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة- ماي 2013م، ص25.

² - نص الفتوى. ابتدأ الإمام فتواه بمقدمة جاء فيها: "الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، إخواننا القابضين على دينهم، كالقابض على الجمر، ممن أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء، القرباء إن شاء الله من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته وارثوا سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى التراق، نسأل الله أن يطفئ بنا وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً. وبعد السلام عليكم، من كاتبه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده وأحوجهم إلى عفوه ومزيدة، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني" ثم تلى نص الفتوى وفق ما ذكرنا بعضها في المتن..

³ - ساعد تبينات، المرجع السابق، ص25.

وبعد مرور أكثر من 300 سنة من ضياع الأندلس وقعت أزمة سياسية وفكرية ودينية عميقة شبيهة بما وقع من قبل تمثلت في تردد سؤال تبادر لذهن العامة والأئمة ورجل الدين، وهذا السؤال هو كيف سيعيش المسلم تحت حكم النصارى الكفار، ولمن يدعو الخطباء والأئمة في صلاة الجمعة بعد ما سيطرت فرنسا المسيحية الكافرة على البلد¹؟ خاصة بعد رفض الفرنسيين رفع الدعاء للسلطان العثماني.

لقد شكل احتلال الجزائر سنة 1830 صدمة شديدة ليس على عامة الجزائريين فحسب بل حتى على النخب الدينية والفقهية، التي حاولت بادئ الأمر عدم التعرض للجيش الفرنسي وسياسته الهمجية، فمال بعضهم إلى العزلة والحزن بسبب التطورات الجديدة والخطيرة التي هزت أركان العقيدة الدينية للبلاد، حيث صار الكافر الذي طالما كان منبوذا حقيرا يتحكم في رقاب المسلمين كيفما شاء²، ومنهم من أثر التخفي ونصرة المقاومة من بعيد ما أمكن إلى ذلك سبيلا، وبعضهم الآخر فضل الهجرة إلى تونس والمشرق العربي مادامت هذه البلدان مستقلة وحرّة، ودعوة المسلمين للهجرة إليها³ بينما اختار صنف ثالث مقارعة الاستعمار بالمحاجة والمنطق والبرهان والصبر على مكائده، وعدم ترك الأهالي بمفردهم دون مؤازرة، بل دعوا إلى اقامة الشعائر والجهر بها والمحافظة عليها، ومن هؤلاء الشيخ الفقيه "مصطفى بن الكبابطي"⁴ المالكي مفتي الإيالة. الذي بعث الشيخ "قدور بن رويلة" كاتب الأمير عبد القادر رسالة طويلة سنة 1834، يدعوه فيها إلى إعلان تحول الجزائر من دار الإسلام إلى دار كفر، ووجوب الهجرة وترك البلاد والنجاة بالدين والعقيدة⁵. وضمّن بن رويلة رسالته مقتطفات من رسالة الونشريسي المعروفة التي دعت سكان الأندلس إلى الهجرة بعد سقوط بلدهم بيد الإسبان، لتبرير دعواه. وهاجر أغلب الذين تأثروا بهذا الرأي نحو تونس والمغرب الأقصى وبعض البلدان العربية كالشام ومصر والسلطنة العثمانية التي تشير الأبحاث إلى وجود سياسة مركزية اتبعتها السلطان عبد الحميد خاصة في استقطاب المهاجرين وإيوائهم خاصة في الجهات الحدودية بين الشام والأناضول.. وكانت هذه الهجرات

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 12

² - حاتم باي حكم الهجرة في فتاوى علماء الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، ملتقى النوازل الفقهية، المرجع السابق،

³ - حاتم باي حكم الهجرة في فتاوى علماء الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، ملتقى النوازل الفقهية، المرجع السابق،

⁴ - تقول بعض الروايات ان اسمه مشتق من نوع من الالبسة الثخينة الذي كان يلبس في الشتاء يعرف بالكبوط، حيث كان الشيخ من صناعه.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ص 20.

الأولى قد وقعت فضلا عما ذكرناه سابقا بسبب السياسة الفرنسية المجحفة والظالمة والتي اتسمت بالقسوة والعنف والقتل والإبادة والتهمجير ومصادرة الأراضي الفلاحية وقطعان المواشي التي تمثل أساس المعيشة للجزائريين في تلك الفترة.

وفي أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20 تغيرت وجهة المهاجرين حيث تحولت نحو أوروبا وبالتحديد فرنسا، التي كانت بحاجة إلى اليد العاملة الرخيصة، التي شجعت على استقدامها من المستعمرات الإفريقية والآسيوية وأمريكا الوسطى.

وفي فرنسا اكتشف المهاجرون الجدد عالما آخر وحضارة جديدة وتطور وحداثة لم يكن لهم به معرفة من قبلن وقد عبر عن هذا التطور وعن حالة الاندهاش كثير من المهاجرين والرحالة الذين زاروا فرنسا ومنهم الباشاغا أحمد ولد قادي¹ الذي قاده إلى فرنسا سنة 1878. ويرى كثير من المؤرخين أن من دوافع وعوامل انبعاث الفكر الوطني والوعي القومي احتكاك المهاجرين المغاربة عامة والجزائريين بوجه أخص بالغرب والمدنية الغربية، التي كانت في أوج عطاءها، من خلال حرية الاعلام والتنافس الفكري والنضال النقابي والفني والمسرحي والأدبي.

أوعية المقاومة الأولى.

1.. الثقافة والمقاومة.

لا أحد يشك في مهمة الاستعمار الفرنسي الأساسية والمتمثلة في محاولات القضاء على الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين بمختلف الطرق والوسائل، وكانت الشخصية العربية الإسلامية تُعد بمثابة الركيزة الأساسية التي منحت للأهالي القوة واليقين في مواجهة الاحتلال ومقاومته، وقد استنفد الفرنسيون جهدًا كبيرًا في هذه المعركة على امتداد عشرات السنين، وانخرط الجزائريون فيها مضطرين، بعدما ضحوا بالغالي والنفيس خلال المقاومات المسلحة والثورات الشعبية التي امتدت لأكثر من 80 سنة.

وكانت الوضعية الثقافية للجزائر تحت الاحتلال وضعية سيئة حيث تحولت من ثقل "ثقافة الإقطاع والكولون" إلى ثقافة شاملة غربية مشوهة، بلغت قمة بأسها حينما فقدت الجزائر لغتها الأساسية التي تمكن للمواطنين من التخاطب فيما بينهم، ولا أحد يستطيع كما قال أحد المفكرين "أن يعبر عن ذات نفسه في لغة أجنبية بأفضل مما يعبر عن نفسه

1 - محمد أوجرتي، "الباشاغا أحمد ولد قادي أغا فرنده ورحلته إلى فرنسا سنة 1878 قراءة في ظروفها ومضمونها"، في مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، محمد بوضياف، العدد 01، مجلد 07، 2023، ص 604.

في لغته الأصلية¹، فقد فرض الاستعمار لغته عبر السيطرة الكاملة على كل شيء وفرض وجود ثقافي ومعرفي وإنكار الواقع الحي في نفوس ساكني هذه الأرض المحتلة². وقد كانت النخب الوطنية التي استطاعت أن تكون نفسها وتكتسب الوعي الوطني بمفردها من خلال جهد عصامي عنيد، تعيش في غربة كبيرة وإحساس فظيع بغياب المحضن الدافئ والملجأ الآمن حينما تدلهم بالناس الخطوب، وقد عبر عن ذلك الكثير منهم شعرا ومقالة وخطابة في مختلف المناسبات لكن أغلهم ظل متمسكا بخيوط الأمل الواهية وفي غد أفضل قد يأتي في قادم الأيام. وظلت الثقافة المحلية رغم هشاشتها تمثل مصدرة قوة وإلهام احتضن بذور الوعي الأولى ومحاضن الوطنية والإصلاح بدايات القرن 20. وقد كتب في هذا الأمين العمودي قصائد كثير تعبر عن حرقته وغربته في جزائر ضائعة تحت أقدام الفرنسيين فقال:

رمتني نوائب الدهر واتقت حياتي وما أخذت منابي
كأسه ملؤها الحوادث شربي وهموم تجيء من كل باب
إن الدهر كربة وصروف الدهر نار عصابة الهباب
قبح الله أهل هذا الزمان كل من ساد أسود مشى غراب
ولم يشكو العمودي وحده من الدهر وغربته وقساوة المشهد السياسي وكآبته فهذا
الشيخ محمود رمضان³ ينظم لقافلة الغرباء في وطن محتل ومغتصب حيث يقول:
ويلاه من همّ يذيب جوانحي فكأنما في القلب جذوة نار
نفسي معذبة بهمة شاعر دمي على رغم التجلد جمار
حظي على متن النوائب راكباً تمشي به للحظة الأكار
وتألم للوضع المعيش الشيخ المولود بن الموهوب الذي يدعو الناس إلى الصبر على نكبات الدهر وغوائله، فقال:

إذا جار الزمان عليك يوماً فصبراً فالزمان له مرور
ولا تنظر لحادثة المرفان القرع يتبعه السرور
وكن متمسكاً بالله عقداً هو المطلع المدبر والخبير¹

¹ - عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل بيروت، 1991. ص 61.

² - عبد العزيز شرف، المرجع نفسه. ص 64.

³ - محمود رمضان : شاعر سياسي ولد بفرداسة سنة 1906 وتوفي بها سنة 1929 تاركاً شعراً غزيراً وكتاباً سماه عنوانه "بذور الحياة" انظر محمد الطمار المرجع السابق، ص 281.

وكتب مستنفرا شباب تلك المرحلة ودعوتهم للنهوض وتغيير وضعهم البائس
الحاج ابراهيم الطرابلسي² فقال:

شباب العصر شمر للمعالي فإنّ العزّ في همة الرجال

وبادر للحصا1فة بالتوان وإنّ الكسل ولا تجزل بمال

فان العلم أنفـس من سواه وإن ومن درومن كسب حلال

فلست ترى له أبداً مثيلاً فيجد وكن على الاقران عالي

ولا شك أن المنتديات الفكرية والثقافية التي كانت موجودة في تلك الفترة قد احتضنت هؤلاء الشعراء والدعاة وخاطبوا من خلالها فئات الشباب وحاولوا التحليق به نحو مدارج التغيير والفلاح التي ترنو إليها الشعوب والامم، ومهدت بذلك لنشأة حراك ثقافي فكري توعوي ساهم في احتضان الحركة الوطنية الثقافية والسياسية.

ومع تعدد حملات الطرق على هذه الأفكار من طرف الكيان الكولونيالي برز للوجود تيار وطني جديد تزعمه بعض الأدباء والشعراء والمثقفون ورجال القلم، الذين انبروا لمقاومة الفكر الاستعماري المنحرف و"مخاطبة الشعوب المقهورة واستنهاض القيم المحلية الدفينة التي داستها أقدام الغزاة القذرة. فنشأ ما يعرف بالأدب القومي وأدب النضال الذي يدعو الشعب بأسره إلى النضال ويعلمه ليخرج من دائرة الجهل والتخلف التي تعيش بها مشاريع التغريب والفرنسة". وشكل هؤلاء أرضية بناء التنظيمات والأحزاب السياسيـة المختلفة. ومن مظاهر الوعي الوطني بعد 100 من الاحتلال رفض الجزائريين وسخطهم لإقامة احتفالات مئوية الاحتلال وما رافقها من تصريحات ومواقف وسلوكات ترمز إلى الالهانة وتشير إلى روح صليبية مقيتة مليئة بالحقد الدفين تجاه مقومات الأمة الجزائرية من دين ولغة وتاريخ.

لقد كانت هذه المناسبة بحق للجزائريين فرصة ثمينة للتعبير عن رفضهم سياسة الدمج والطمس الثقافي، وشكل ذلك بدون وعي منهم محطة حاسمة في استدراك وبلورة الوعي الوطني الجزائري.

¹ - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1969، ص281.

² - محمد بن الحاج ابراهيم الطرابلسي شاعر جزائري من مواليد طرابلس سنة 1886 انظر الطمار المرجع السابق،

وقد تناول هذا الموضوع كثير من المؤرخين الجزائريين والغربيين وحاولوا تحليله والوقوف على حقيقته التي لا تخرج عن الممارسة الاستعمارية الكاذبة والدعاية الاستعمارية المضللة ومحاولات تكريس السياسة الثقافية الفرنسية على الأهالي رغم تباين التكوين الايديولوجي والديني واللغوي والتاريخي¹.

2.. اليقظة الوطنية.

حملت عبارة اليقظة الوطنية عدة مدلولات سياسية وفلسفية وفكرية، وهي تكافئ اليقظة العربية التي برزت في مرحلة دقيقة أعقبت بعد ضعف وانهيار الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولئن ارتبطت اليقظة العربية باكتشاف الذات العربية وانتعاش الفكر القومي العربي وسط تلك التناقضات المحلية والدولية التي كان يعيشها العالم آنذاك والشرق الأوسط على وجه أخص، فهل يمكن قياسا على ذلك القول بوجود يقظة جزائرية وطنية برزت في خضم أحداث الاحتلال، أم انها ارتبطت هي الأخرى بظاهرة الهجرة الخارجية خاصة نحو فرنسا؟ وساهمت في اكتشاف الذات الجزائرية والوطن المختفي خلف ذلك الضعف والانهيار الذي كان يعيشه المغرب الأوسط، عشية الاحتلال وزوال الحكم التركي واندلاع المقاومة الشعبية الشاملة؟

إن الإجابة على هذا صعب ومضني يتطلب البحث في مستويات عديدة للوصول إلى شيء ما، فإذا فحصنا في كتابات ومراسلات قادة وزعماء الثورة والمقاومة لا نجد هما مشتركا أو أمرا جامعا غير الهم المحلي، المرتبط بالدين والهوية والأخلاق والرافض للآخر الذي يحمل في جعبته السم الزعاف على حد تعبير الكتاب والأدباء، سواء أحمد باي في بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة التي احتضنت نشاطه السياسي والعسكري، أو الأمير عبد القادر وما وقع تحت سلطته من البلاد والقبائل، وحتى الزعماء المحليون الثائرون فقد تجمعوا أيضا حول همهم المحلي، الذي لا يخرج على نطاق القبيلة غالبا، أو النسيج القبلي الذي يرتبط بمصالح مشتركة تتعلق بالكأ ومصادر المياه وطرق المرور والعيون ومجاري الماء.

وقد شكل الاحتلال الفرنسي وما يحمله من قيم جديدة وأفكار عدائية مخالفة، وسيطرته على البلاد وبسط نفوذه عليها طارئا جديدا في المفهوم السياسي المحلي القائم على الهوية القبلية، حاول بعض قادة المقاومة كسر الطوق القبلي وهبوا لنجدة بعضهم البعض

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المجلد الأول.

دون أخذ بعين الاعتبار للتخوم القبلية السالفة، أمثل القائد الشريف محمد بن عبد الله "1895ت" والقائد بن ناصر بن شهرة "1804-1884"، وحاول الأمير عبد القادر من جهته بعد تأسيس دولته ربط قطع الأحجية واتباع تنظيم إداري جديد يكسر نمط التسيير القبلي القديم لكن أخطر ما واجه الأمير بعد مبايعة الناس له خوض حياة قاسية قائمة على القتال والجهاد والحرب أكثر من البناء والإدارة والتسيير.

وحاول الأمير اختزال النهضة الشاملة التي قد تستغرق سنوات طويلة وجهود جبارة لتحقيقها في دولته التي لم تعمر أكثر من 10 سنوات، من خلال العناية بالتسليح وتدريب الجيوش وتشجيع الناس على الانخراط في دولته والعناية بالتعليم وجمع الضرائب وتنظيم القضاء وإقامة الحدود الإسلامية وفض النزاعات القبلية المستشرية والتواصل مع خصومه الفرنسيين.

ولم يكن الأمر ميسورا فبعد ضعف وتشتت الدولة العثمانية التي كانت بمثابة الحاضنة لأكثر الإيالات العربية وأمام انبعاث اليقظة العربية والقومية العربية بما تحمل من تناقضات على أنقاض المشروع العثماني كانت الأقطار العربية بحاجة ماسة لمرحلة جد مهمة تبلور فيها ومن خلالها معاني اليقظة الوطنية والتي يتشارك فيها أغلب النخب الثقافية والفكرية والدينية والسياسية وحتى العسكرية وتنتهي عند مرحلة تجسيد الكيان السياسي القطري بأركانه وشروطه الموضوعية، وهذا ما لم يتم تحقيقه في القطر الجزائري بعد 1830..

والوطنية بمفهومها السياسي والايديولوجي المعاصر لم يكن لها تداول في القطر الجزائري خلال القرن التاسع عشر، غير أن التعاطي الاجتماعي والشعبي مع القضايا المشتركة بدأ يتجلى من خلالها عند الناس إحساس بوجود قطر سياسي واحد، غير دولة تونس وغير مملكة مراكش، وكانت الأحداث التي تهز هذين القطرين متميزة وكانت الأنظمة السياسية القائمة فيهما تميز كل منهما عن الآخر وعن القطر الجزائري.

ولم تسعف الظروف الحركات السياسية المختلفة والامارات القبلية المتعددة لإتمام بناء القطر الذي يقع بينهما والذي يعرف تميزا بالمغرب الأوسط، والذي يضم حيزا جغرافيا وسكانا وقبائل ببيئة متميزة، والراجع أن الاحساس المشترك بوجود قطر واحد تحدد شعوريا في ذاكرة الأهالي من خلال الأحداث التي وقعت بعد الاحتلال الفرنسي للبلاد سنة

1830 وانخراط أغلب سكانه في المقاومة دون سكان مملكتا تونس ومراكش المتواجدين على التخوم الشرقية والغربية¹.

عبد الحميد زوزو الباحث والمؤرخ ومسيرته.

عبد الحميد زوزو مؤرخ جزائري كبير من مواليد 1941، باحث ومؤرخ وأستاذ جامعي انتسب بجامعة الجزائر اشتغل زوزو في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ووظف المناهج التاريخية الحديثة في كتابة التاريخ وتقديم رؤى نقدية للكتابات التاريخية المختلفة التي تناولت خاصة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

درس في الجزائر ثم انتقل على فرنسا لتحضير شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر المعاصر وبعد عناء وجهد تمكن من مناقشة أطروحته التي كانت بعنوان التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمنطقة الأوراس من 1837 إلى 1939. L'évolution politique, économique et sociale de la région de l'Aurès (1837-1939)

بإشراف المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون Charles-Robert Ageron في جامعة باريس 12 سنة 1992.

وللمترجم مساهمات تاريخية عديدة رافقتنا في كثير من مراحلنا الدراسية منها:
نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900 حيث اعتمد في انجازه على مجموعة كبيرة من الوثائق والمراسلات والتقارير التي جمعها من دور الارشيف الوطنية والاجنبية.
الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية 1837-1939.

¹ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1900، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 69.

2 - يمكن تلخيص جوهر هذه الدراسة، التي تبدو واسعة النطاق، والتي تُركز على منطقة الأوراس كمثال، في جملة واحدة: الاستعمار لا يؤدي إلا إلى التراجع. فإلى جانب مقدمة مطولة ضرورية لفهم هذا البلد ذي الأغلبية الأمازيغية، خصصت الدراسة سبعة أجزاء له لتحديد مراحل تطوره المختلفة تحت السيطرة الفرنسية بدقة متناهية. ولإدانة هذه السيطرة، بذل النظام الاستعماري قصارى جهده للسماح للجالية الأجنبية التي دعمها بالسيطرة على المجتمع الجزائري. فالنظام الضريبي الذي أعاق تطور الفلاحين، والتنظيم الإداري والقانوني وفقًا للتصور الفرنسي، والتشريعات المختلفة المؤيدة للاستيطان الأوروبي، وغياب سياسة تراعي مصالح السكان الأصليين، هي الوسائل والأدوات التي وضعتها القوة الاستعمارية والتي تُشكل محاور هذا البحث. يُضاف إلى ذلك قانون الأقوى، الذي طُبّق بكل صرامة، والذي أدى إلى قمع مستمر لأي شكل من أشكال المقاومة أو النزعة نحو العصيان. كما جرت محاولة لتحقيق الفتح الأخلاقي، وكان الهدف من ذلك إبعاد الناس عن أي فكرة للتحرر السياسي.

المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة مؤسسات ومواثيق.

الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939.

تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا .

ثورة بوعمامة 1881-1908.

الفكر السياسي للحركة الوطنية والثورة التحريرية.

فضلا عن عشرات المقالات التاريخية في المجالات المتخصصة الوطنية والدولية، وكتابه موضوع دراستنا الجزائريون في فرنسا ومساهماتهم في نمو الوعي الوطني، من خلال قراءة في كتاب "الدور السياسي لهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914/1939". .

قراءة في كتاب "الدور السياسي لهجرة إلى فرنسا بين الحربين

1914/1939" أن الدور السياسي للهجرة الى فرنسا بين الحربين 1914 1939 من تأليف الباحث والمؤرخ الجزائري عبد الحميد زوزو المعروف والغني عن التعريف وقد تحدث في كتابه عن كثير من القضايا المهمة طبعا بدءا بالمقدمة التي عرف بها وعرفها بموضوع الكتاب مقدمه الشكر للباحثين الذين ساعدوه وقراوا له هذا الموضوع منهم الاستاذ بلقاسم سعد الله رحمه الله قسم عبد الحميد زوزو كتابه الى خمسة فصول الفصل الاول...

الفصل الاول تحدث فيه عن تاريخ الهجرة الجزائرية الى فرنسا وجعلها تحت عناوين فرعيه الهجرة قبل الحرب العالمية الاولى الهجرة خلال الحرب العالمية الاولى ثم الهجرة بين الحربين ثم المناطق المهاجر اليها والمهاجر منها وخصائص الهجرة في هذه الفترة ودوافعها الاقتصادية او العسكرية والنفسيه والتعليميه اما الفصل الثاني فقد جعله بعنوان التطور السياسي والايديولوجي لدى المهاجرين وهو اهم ما في هذا الكتاب حيث تحدث عن تأسيس نجم شمال افريقيا سنة 1927 ثم تطور التخلص او التخلص النجم من التبعية الاجنبية والذي شغل الفترة من 1929 الى 1933 ثم طول التنظيم 33 937 1933 1937 ثم طور النضج والتعرف على الواقع الجزائري الذي امتد خلال سنتي 39 40 ثم تحدث عن تطور ايديولوجي للمهاجرين حكم احتكاكهم بالاوروبيين واحتكاكهم بوسائل التثقيف وسائل التعبير المختلفه كالجرائد ودور السينما والمصالح والحدائق العامه التجمعات المختلفه النقابيه وغير النقديه

في الفصل الثالث تحدث عبد الحميد زوزو عن الجهاز الاداري وسائل العمل التي اتابعها المهاجرون في نشاطهم السياسي خاصه ما يتعلق بتاثير وتسيير حزب نجم الشمال افريقيا فتحدث عن المؤتمر السنوي العام للحزب واللجنة المركزيه والمكتب التنفيذي والمكاتب والقسمات المختلفه والعضويه وشروطها وكيفيه ضبطها ثم تحدث عن مصادر دخل الحزب ووسائل العمل المتابعه وجعل عبد الحميد زوزو العنصر الفصل الرابع تحت عنوان علاقه النجم بحزب الشعب وحزب الشاب بن منظمات والاحزاب الاخرى منها علاقه النجم باتحاد اللجان العاقل عن العمل النشاط الثقافي للعمال الجزائريين علاقه النجم بالصليب الاحمر الدولي والجامعه الفرنسيه ضد الامبرياليه والتاسف الاستعماري كما تحدث عن علاقه النجم بالحزب الشيوعي الفرنسي وبجبهه الشعبيه التي كان لها ثاني رواج كبير في هذه الفتره وقد وصلت الى حكم فرنسا في سنه 1936 كما وصلت ايضا لحكم العديد من دول اوربا منها اسبانيا وغيرها تحدث عبد الحميد زوزو في هذه الفصل الرابع عن علاقه النجم بجمعيه العلماء المسلمين الجزائريين وكتله النواب الجزائريين المنتخبين كما تحدث عن علاقته بالحركات الوطنيه العامله بفرنسا بصوره عامه...

وواصل بناء هذا الفصل بمناقشه علاقه النجم بطلبه شمال افريقيا وجامعه الدفاع المسلمين شمال افريقيا وموقف النجم من الحركات الفاشيه والنازيه اما الفصل الخامس فقد كان تحت عنوان وهو الفصل الاخير طبعا كانت تحت عنوان رد فعل السلطات على الدور الوطني للمهاجرين وبين الحميد زوزو ووضع الكثير من الافكار التي تصب في هذا الموضوع منها اختراق او اختلاق لا رقيلا الاداريه والقضائيه والماليه والسياسيه والتنظيميه المختلفه التي تتبعها الدول الاستعماريه في اتعاب وارهاق المناضلين الوطنيين ودفعهم الى دائره الياس والقانون وبين كيف اعتمد النجم خطه مكانته من تجاوز هذه العراقيل ختم الكتاب بخاتمه بين فيها اهم الفوائد من هذه الفصول والافكار التي استجمعها الباحث مضيف المجموعه من الملاحق منها ملحق يتعلق ببرنامج حزب نجم شمال افريقيا الذي اقره مؤتمر 1933 ثم برنامج المطالب الفوريه التي تخص بلدان شمال افريقيا ثم القانون الاساسي لجمعيه الاتحاد الوطني شمال افريقيا ومطالب العمال الجزائريين وبين بعض النماذج التي تتعلق بتقارير الشرطه الفرنسيه النشاط النجم في فرنسا والتوصيات المختلفه التي صادق عليها المؤتمر العام لحزب الشعب في اوت 1938 كما ذكر ووضع الباحث بين يدي القراء منشورا خاصا بالتحضير المؤتمر الاسلامي 1936 وقصيده شعريه القيت

بمناسبه هذا الحدث البارز ثم تحدث عن مشروع بلانديولات وغيرها من المسائل التي تتعلق بهذا الموضوع موضوع دوره السياسي للهجرة الى فرنسا
الهجرة إلى فرنسا الدوافع والنتائج.

الدوافع: تعددت دوافع الهجرة الجزائرية إلى الخارج فمنها السياسية ومنها الدينية والفكرية فضلا عن الدوافع الاجتماعية والاقتصادية.

ولعل ما ميز هجرة الجزائريين حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى هو تأثرها بالجانب الديني والعقدي ومنها هجرة الجزائريين سنة 1832 و1848 و1870 التي حدثت بسبب انكسار المقاومة الشعبية أمام آلة الاستعمار الوحشي، أم أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فقد اختار الجزائريون الهجرة والعروب من الواقع الاستعماري بسبب القوانين الجائرة ومنها قانون التجنيد الاجباري الذي أرهق الأهالي وأقضى مضاجعهم فقد تقدم الجزائريون باحتجاجات عديدة يرفضون فيها التجنيد الاجباري الذي فرض على أبنائهم للخدمة في الدولة الفرنسية والدفاع عنها دون أن تتنازل لهم عن أبسط الحقوق الطبيعية، وفي هذا الإطار كتب سكان مدينة تلمسان عريضة حول الخدمة العسكرية الاجبارية 1891 وقدموها للحاكم العام دون نتيجة¹، وتقدم المسلمون الجزائريون مقابل قيامهم بالخدمة العسكرية بمطالب وشروط تجعلهم يحسون بآدميتهم في الواقع الاستعماري البغيض دون جدوى². وحدثت انتفاضات كثيرة في الأوراس ومليانة وبني شقران ضد التجنيد دون جدوى كذلك، فالتجأ الجزائريون للهجرة الجماعية الكثيفة كما وقع في تلمسان³ سنة 1911

¹ - جمال قنان نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 1830-1914 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007. ص210.

² - جمال قنان نصوص، المرجع نفسه، ص283.

³ - هجرة سكان تلمسان 1912 أو القطرة التي أفاضت الكأس.

لجأ الجزائريون أمام آلة القتل الوحشية الفرنسية إلى الهجرة مبكرا، حيث تركوا أرضهم وقراهم ومداشرهم وانتقلوا إلى تونس والمغرب الأقصى، وكانت أغلب هذه الهجرات جماعية تشرذ الناس فيها ومات كثير منهم تحت وقع الجوع والأمراض والتعب، وبعد انتقال الأمير عبد القادر إلى الشام بدأت هذه الوجهة تستقطب الجزائريين حاولت فرنسا منعها وتحديدها حتى لا تفقد صمعتها ومن أكثر الموجات المهاجرة هجرة سكان تلمسان ابتداء من 1910 الذي لفت انتباه الاحتلال الفـرنسي ولحق بالمهاجرين التلمسانيين موجات أخرى من سطيف وبرج بوعريـيج بعدما اغتصبت أراضيهم وكذلك الدعاية التركية ضد الاحتلال الفرنسي... مع مطلع القرن العشرين وفي سنة 1913 ألغت سلطات فرنسا جواز السفر بالنسبة للجزائريين الراغبين في السفر والهجرة إلى فرنسا فتضاعف عدد الجزائريين كثيرا في فرنسا وعرفت مدينة تلمسان هجرة كثيفة بسبب قانون

النتائج.

لعل من أهم نتائج الهجرة إلى فرنسا مايلي:

تشكيل فئة جديدة من الجزائريين في أرض الغربه تحمل هموم الوطن وتعمل من أجل تحسين أوضاعه.

تحسن مداخيل الأهالي المهاجرين وأفرادهم خاصة أولئك الذين استقروا بفرنسا وجنوب أوروبا عموما.

المساهمة في انتعاش طرق التعليم والثقيف ووسائل المثاقفة بين فئات المهاجرين مما أكسبهم خبرة في قراءة النصوص السياسية والقوانين التنظيمية والمشاركة السياسية.

تأسيس البذور الأولى للعمل الحزبي والنضال السياسي ممثلا في نجم شمال افريقيا سنة 1927 وحزب الشعب سنة 1937 ورافق هذا التأسيس زخم إعلامي كبير من خلال الجرائد المؤسسة والبيانات والكتابات والمساهمات الصحفية المختلفة. وهذا ما نستشفه من خلال قراءة هذا الكتاب خاصة في الفصل الرابع والخامس منه.

التجنيد الاجباري ووفق ما أفادت به تقارير الشرطة الفرنسية، فإن الأمر يتعلق بأكثر من 300 أسرة تلمسانية غادرت البلاد نحو المشرق واستقرت به بصورة نهائية. وقد بدأت الهجرة في شهر جوان 1911 وبلغت أقصاها شهر أكتوبر من نفس السنة، وقد أحصت جريدة لاديباش الجزائر إلى أن عدد المهاجرين بلغ نحو 3000 نسمة من أصل 25000 قاطن بالمدينة، بينما قدرتهم جرائد أخرى بنحو 1500 مثل ايكو وهران والحق الوهراني.

ولم تقف السلطات الفرنسية مكتوفة الأيدي إزاء هذه الظاهرة التي تهدد توازن المدينة وتجلب للنظام الاستعماري حرجا هي في غنى عنه فأمر الحاكم العام للجزائر بفتح تحقيق لمعرفة الأسباب والخلفيات التي تقف وراء هذه الظاهرة، وقد ترأس لجنة التحقيق الفرنسي بربيدات وقدم تقريرا حول الموضوع من 32 صفحة بين فيه أن الهجرة كان وراءها رجال الدين وشيوخ فاعلون أفقتوا بحرمة عيش المسلمين الجزائريين وسط الكفار والمشركين الفرنسيين، ومن أمثال هؤلاء الشيوخ، المفتي التلمساني جلول شلي والشيخ كزبون والشيخ بن يلس والشيخ الهبري وهم شيوخ فاعلون في الطريقة الدرقاوية، حيث عملوا على توفير الطعام والمأوى للمهاجرين إلى الشام.

ويمكن ترجيح فرضية أن تسهيل إجراءات اندماج الجزائريين في المجتمع الشامي وتوفير عناصر الحياة الكريمة لهم وتسوية جوانب إقامتهم القانونية قد شجعت على هجرة الجزائريين بكثافة في هذه الفترة رغم وقوع عدة مشاكل وأزمات بين الدولة العثمانية وفرنسا. انظر الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الاصلاحى والطريق الثوري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987 ص50.. وشيخ لعرج، هجرة الجزائريين إلى فرنسا خلال العهد الاستعماري من خلال الكتابات الفرنسية 1830-1962 في مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، مجلد 14، عدد02، 2019، ص ص 45-62

فقد قدم صاحب الكتاب صورة هيكلية تنظيمية لنجم شمال إفريقيا يظهر من خلال الحديث عن المؤتمر السنوي واللجنة المركزية والمكتب التنفيذي أن النجم كان تنظيمًا سياسيًا حديثًا، يسعى إلى تبني نمط الأحزاب السياسية الأوروبية مع استيعاب خصوصية القضية الجزائرية.

كما تحدث عن شروط العضوية وضبطها تدل على حرص الحزب على الانضباط والتجديد الانتقائي، مما يجعله تنظيمًا نخبويًا إلى حد ما.

التمويل والموارد

الإشارة إلى مصادر دخل الحزب تفتح الباب لتساؤلات مهمة حول استقلالية الحركات الوطنية في المهجر، ومدى اعتمادها على تبررات المهاجرين أو جهات خارجية.

العلاقات السياسية والشبكات التحالفية

تحليل زوزو لعلاقة النجم مع أحزاب مثل الحزب الشيوعي الفرنسي وجهة الشعبوية يُبرز استراتيجية البحث عن حلفاء في الساحة الفرنسية، لكن مع الحفاظ على مسافة نقدية تجاه مواقفهم من الاستعمار.

العلاقة مع جمعية العلماء المسلمين تدل على تقاطع الوطني والسياسي مع الديني والإصلاحي، وهو ما سيطور لاحقاً في إطار الحركة الوطنية الشاملة.

السياق التاريخي

الفترة التي يتناولها الكاتب (قبيل ومنذ 1936) هي فترة تحوُّل في السياسة الفرنسية تجاه المستعمرات مع صعود اليسار، لكن يبقى التناقض جلياً بين الخطاب المبدئي للأحزاب الفرنسية وممارساتها في الجزائر.

دراسة زوزو تُعتبر رائدة في كشف البعد التنظيمي والتحالف في لنجم شمال إفريقيا، وهو ما كان مغيباً في كثير من الدراسات السابقة التي ركّزت على الخطاب أكثر من البنية.

يمكن تطوير هذا البحث بمقارنات مع حركات تحررية أخرى في المهجر، أو بربط هذه الشبكات بتحوُّلات ما بعد الحرب العالمية الثانية وظهور حركة انتصار الحريات الديمقراطية وغيرها.

ختامًا، يُعدّ عمل زوزو إسهامًا أساسيًا في فهم كيفية اشتغال النخبة الجزائرية في المنفى، وكيف أسست لخطاب وطني

خاتمة.

يُعد كتاب "الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939" للمؤرخ الجزائري عبد الحميد زوزو مرجعاً أساسياً في دراسة تاريخ الهجرة الجزائرية إلى فرنسا وتفاعلاتها السياسية والفكرية خلال فترة حرجة من تاريخ الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي. يتميز العمل بالمنهجية التاريخية الوثائقية، والاعتماد على مصادر متنوعة، بما في ذلك الأرشيف الفرنسي والتقارير الرسمية والمنشورات الحزبية، مما يضفي عليه مصداقية أكاديمية عالية.